

خطاب صاحب الفخامة نائب رئيس جمهورية الهند

السيد محمد حامد الأنصاري رعاه الله تعالى

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري¹

أنقدّم بالشكر إلى أكاديمية شبلي والبروفيسور اشتياق أحمد الظلي على أنه دعاني لافتتاح هذه الندوة العلمية الدولية المنعقدة بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس دار المصنفين أكاديمية شبلي، ولست بغريب على هذه الأرض المباركة:

اب یاد رفتگاں کی بھی ہمت نہیں رہی یاروں نے کتنی دور بسائی ہیں بستیوں

ترجمة: لقد فترت همتي لتذكر ما مضى، فقد سكن الأوبة في أماكن بعيدة.

كان العلامة شبلي النعماني شخصية موسوعية برزت على ساحة العلم والأدب في عصر حساس وملء بالتحول بالنسبة لمسلمي الهند، كان عصرًا لم يواجه مثله المسلمون ولعلنا لا نقدر على إدراك ماهيته. فحياته، ورحلاته، ودائرة أحيائه وأكثر من تلك فضله وبراعته تشهد بعقل لا يعتكف في مكان. ولقد ترجم أبرز أعماله "الفاروق" إلى لغات عدة، والكتاب الثاني القيم للعلامة شبلي هو "شعر العجم" الذي يتحدث عن تاريخ شعر إيران. قال فيه براؤن صاحب كتاب "Literary History of Persia":

"هذا أروع تحليل نقدي لشعراء إيران منذ فجر تاريخ شعرها إلى القرن السابع عشر للميلاد".

القضايا التي كان يواجهها العلامة شبلي إحداها كانت متعلقة بالتعليم في منظور الميل الخاص للحدائق، الذي ضرب على الهند وأهاليها بعد قيام الحكومة البريطانية، ولقد أسفر هذا التحول عن أثر نفسي شديد يعكس الشعور بالحرمان، وقد أعرب العلامة

¹ أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المللية الإسلامية، نيودلهي

العدد الخاص مجلة الهند

شبلي عن هذا الكرب الشديد في منظومة طويلة بعنوان "شهر آشوب إسلام" (مأساة الإسلام) فيبرز الشعور باليأس أشدّ فيما يلي من الشعر الأخير لهذه المنظومة:

جو ہجرت کر کے بھی جائیں تو شبلی اب کہاں جائیں کہ اب امن وامانِ شام و مجد و قیرواں کب تک

ترجمة: ولو هجرنا الوطن فإلى أين نتوجه فلقد أوشك الأمن والأمان في الشام ونجد والقيروان أن يقضى عليه.

وبعد السنوات الطويلة قال متعاطف أجنبي ألا وهو ولفريد كينتويل اسمث (Wilfred Cantwell Smith) مدلياً برأيه عن هذه القضية:

"The fundamental malaise of modern Islam is a sense that something has gone wrong with Islamic history. The fundamental problem of modern Muslims is how to rehabilitate that history: to see it going again in full vigour, so that Islamic society may once again flourish as a divinely guided society should and must"

ترجمة: التوعك الأصلي للإسلام الجديد شعورٌ بأن التاريخ الإسلامي قد طرأ عليه أمر غير سديد فالقضية الأساسية للمسلمين الجدد هي: ما هي الطريقة لإصلاح هذا التاريخ فيمضي بنشاط تام لكي يتقدّم المجتمع الإسلامي مرة أخرى كمجتمع رباني.

هذان السؤالان واجبهما السير سيد أحمد خان وغيره من رجال ذلك العصر، ولو أن ردّ كل منهم كان مختلفاً إلا أنهم اتحدوا محتوًى فغلب الحركة والعمل القنوط والشكوى بعد قليل فأقام السير سيد "Mohamdan Anglo Oriental College" بعلي كره ولقد ارتبط العلامة شبلي بحركته هذه لحوالي 16 سنة فقد كانت خلفيات كليهما مختلفاً بعضهما عن البعض واتحدت أفكارهما في بعض القضايا بينما اختلفا في بعضها الآخر، وكذا واصل العلامة شبلي خدماته العلمية في ندوة العلماء وفي النهاية وضع حجر أساس هذه الدار الموقوفة على العلم والفض.

ولا تزال أكاديمية شبلي تؤدّي خدمات قيّمة للغاية في مجال العلم والتحقيق لاسيما سيرة النبي، وتاريخ الإسلام الابتدائي، والدراسات القرآنية، وتاريخ الهند بالتركيز على عهودها

العدد الخاص مجلة الهند

المتوسطة، واللغات الأردوية والفارسية والعربية وآدابها وتراجم الرجال فمجموعة إصداراتها تهت الأنظار وهي هدية ثمينة إلى المآثر العلمية في الماضي والحاضر. أيها الحضور:

لقد وقفت هذه الدار وأمثالها من الدور العلمية الهندية أنفسها في مجال تاريخ الإسلام وثقافته خاصة فالهند وأبنائها يعتبرونها، ولا حرج، جزءاً مهماً لتراثها وكذا نتوقع منهم أن يحتفظوا بهذا التراث ويضيفوا إلى فضله وقيمته زيادة ترفعه عظمة وشوكة ولا أرى دعماً أقوى له سوى أن يركّزوا على التعليم الذي قد تخلفنا فيه بالرغم بالتشخيص المتواتر والصحيح. ولقد بين العلامة إقبال هذا الوضع قبل قرن في بيتين تالين:

آئینِ نو سے ڈرنا، طرزِ کہن پہ اڑنا منزل یہی کٹھن ہے، قوموں کی زندگی میں
یہ کاروانِ ہستی، ہے تیز گام ایسا قومیں کچل گئی ہیں، جس کی رواروی میں

ترجمة: المخافة من الدستور الجديد والاعتكاف على المطرد القديم منزلتان صعبتان في حياة الشعوب. فقافلة الحياة سيرها حثيث إلى حدّ لقد وطأت أقدام هذا السيرُ العديد من الأقوام.

ثم قدّم وصفة العلاج كما يلي:

اس دور میں تعلیم ہے امراض ملت کی دوا ہے خون فاسد کیلئے تعلیم مثل نشر

ترجمة: التعليم دواء لأدواء الملة في هذا العصر مثل آلة الجراحة للدم الفاسد.

ولقد نادى مولانا أبو الكلام آزاد الملة في الأيام الخالية لأكتوبر 1947م لأن ييسروا أنفسهم للأوضاع المتغيرة فعلينا اليوم أن نتذكر كلماته التالية:

"أحبائي: بدلوا أنفسكم أساساً، وسايروا التغيرات ولا تقولوا: إننا لا نقبل أيّ تغيير".

ويخبرنا تحليل 67 سنة الماضية أننا لم يسعنا أن نواجه هذا التصدي كما ينبغي، ففشلنا في التسابق مع إخواننا المواطنين، وشكوناه إلى العادات والتقاليد الاجتماعية، الأمر الذي أسفر عن تخلفنا على كل المستويات.

العدد الخاص مجلة الهند

ولكل منطقة من مناطق بلادنا الواسعة الأطراف والمتنوعة الأجيال حق أن تطلب من الحكومة أربعة أشياء أساسية وهي كما يلي:

1. الأمن الاجتماعي والصيانة والاحتفاظ بالهوية (Identity).
2. التطور بالتعليم الملثم والسلطة (Empowerment).
3. المساواة في الوظائف والمشروعات الحكومية لأن الفرص الاقتصادية غير العادلة تعقب نتائج وخيمة وبالتالي فلا تكون المساواة في الحصول على القوة السياسية.
4. المساهمة الملثمة في الحكم.

أعرف أنه لا يخفى عليكم أن هناك نقائص في الحصول على الأمور المذكورة أعلاه فالأمر المهم هو السيطرة على هذه النقائص كائنين في نطاق الحقوق العدلية لقوانين البلاد والحياة والكرامة والمساواة واتخاذ خطوات جادة للطبقة المتخلفة اجتماعيًا وتعليميًا لإثبات الحقوق الاجتماعية. هذه قضية الحقوق وليست قضية أعمال الخير والتطوع فينبغي لنا أن نجاهد لها كائنين في نطاق الصبر والمصابرة.

فهدف "مع الكل وتنمية الكل" صحيح ويجدر بأن نثمنه ولا مناص له من أن يبتدئ المواطنون من نقطة مشتركة وسير مطلوب متصفين بالتكاتف والتضامن كما لا بد لنا من إيجاد هذه الصفة عن طريق الخطوات على كل من المستويات الحكومية والفردية والاجتماعية، التي تؤتي ثمارها على المدى البعيد. ولقد وضعنا المشاريع إلا أنها تحتاج إلى صياغتها في قالب العمل.

أهنتكم بهذه المناسبة السعيدة من أعماق قلبي وأشكركم جزيلًا على أنكم دعوتكموني لها متيقنًا أن هذه الدار ستقدم تطورًا هادفًا أكثر في السنوات القادمة بعدما أكملت مئة سنة من حياتها القيّمة.

وينبئنا التاريخ أن العالم يصبح مشيرًا إذا اشتدت الحاجة إليه ولعل الزمان يتطلب من هذه الدار أن توفر إرشادًا ملائمًا لفلاح الشعب ورفاهيتهم بجانب نثر الدرر العلمية والحكيمة.

عاشت الهند

العلامة شبلي النعماني (لمحة عن حياته ودراسة لخدماته)

- أ. د. رياض الرحمن الشيرواني¹

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي²

كان العلامة شبلي النعماني (1857-1914م) شخصية ذات شمولية عسى أن يجد البعض تعارضاً فيما بينها ولكن تنوع الشخصية هذه تلهمها جذباً ولفناً إليها؛ إنه كان يتمتع من ذوق الفنون اللطيفة بجانب كونه عالماً نحريّاً، وكانت له رغبة خاصة بالمعقول ولذا فالتفت إلى علم الكلام وعلى هذا فقد اعتبره البروفيسور ظفر أحمد الصديقي أول متكلم، وعلاوة على هذا إنه كان مولعاً بالتاريخ والسير ولكن كاتب هذه الأسطر لا يفرّق بين هذين العلمين، ولقد ترك بحوثاً وتحقيقات عديدة فيهما حتى قال حبيبه الواله مهدي إفادي إنه لا يقدّم خطوة بدون التاريخ، ولقد عرفه الناس كمؤرخ إلا أن تلميذه البارّ سيد سليمان الندوي قال: إنه تسلّل من خلال التاريخ إلى علم الكلام لأن كتبه في التاريخ لا تخلو من علم الكلام، وخير مثال لديّ "الغزالي" و"رومي"، ولا شك أن درجته في كتابة الرسائل تبلغ ما بلغها الشاعر الأردوي غالب في عصره كما أن بعض رسائله شاهد عدل بروعة الإنشاء، ولو أن كتابة الرحلات بالأردوية كانت متوفرة من قبل إلا أن رحلته "سفرنامه روم ومصر وشام" تمتاز بأنه شاهد هذه الدول من حيث أنها قلب خافق للإسلام. وبما أنه كان كلفاً بالإسلام فكان يقلق بالاعتراضات التافهة للمستشرقين والمؤرخين الآخرين على الإسلام وأتباعه فكان يقوم بالرد العلمي عليها، ولا شك أنه تجاوز

¹ سكرتير، مؤتمر المسلمين التعليمي لعموم الهند

² أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

الحدود كما يقول بعض الباحثين فيرد عليه اعتراض بأن معاملته في التاريخ دفاعية ولكن الكاتب المتواضع لا يتفق مع هذا الرأي إلا قليلاً، فالجزية ومكتبة الإسكندرية مقالتان له تفقدان نظيرهما لا في الأردوية بل في لغات العالم كلها لاسيما قوله في الجزية "كانت الجزية تسقط عن الجنود غير المسلمين في الحكومة الإسلامية" شرح مقنع لاتهم عظيم وكذا الفاروق والمأمون والمجلد الأول لسيرة النبي تراث أردوي ثمين، وهل موقف العلامة شبلي في هذه الكتب واقعي أم دفاعي؟ فلو هذه الكتب وأمثالها تردّ الاتهام مع شرح الوقائع وتوفير الأخبار الصحيحة فهذه معجزة من ذكاء العلامة ذاته.

ولنلاحظ هنا أنه اختار عمر الفاروق من بين الخلفاء الراشدين كما انتخب مأمون الرشيد من بين خلفاء بني العباس فعلاوة على الصفات الأخرى كان عمر الفاروق قوي الاجتهاد بينما وضع مأمون الرشيد أساس حرية الرأي وانطلاق الفكر عن طريق القيام بالموازنة الموضوعية بين الأديان.

وعلاوة على هذه الجوانب يرغّب ذوقه الجميل إلى الشعر فقال الشعر بالأردوية والفارسية كلتيهما فشعره الأردوي وطني وملّي بينما الشعر الفارسي يغلبه العشق فالعشق ليس من خلل العقل، ولا عزو الابتذال إليه دليل على صحة العقل فقد قال مولانا آزاد: لم ينته الشعر الفارسي على غالب بل على العلامة شبلي "وعسى أن يشمل هذا القول مبالغة ما إلا أنه متفق عليه أن ذوقه الشعري جرّه إلى تأليف كتاب قيّم رائع "شعر العجم"، ولو أن هذه الكتاب يشوبه مناقص بحثية ولكنه أحى الشعر الفارسي في الهند وكما قال البروفيسور آصف نعيم الصديقي، رئيس قسم اللغة الفارسية بجامعة علي كره: إنما وقّره العلامة شبلي من منتخب أشعار الفارسية في شعر العجم يعجز الباحثُ البحثُ عن أمثالها في كتاب آخر وزدّ عليه إقامة مستوى عاليًا للغاية لشرح الشعر لم يقدر أحدٌ على اتباعه".

وقبل أن نقدّم خطوة نتوقف هنا فنرى أنما ناله العلامة شبلي من الأفضال من أي مصدر كانت علاوة على المصدر الرباني؟ فقد ولد العلامة في بندوق محافظة أعظم كره الشهيرة في إنجاب الشخصيات في أول يونيو 1857م، كان العلامة من أصل

راجبوتي فأسلم جدّه شيف راج سنغ وتسمّى بـ"سراج الدين". كان أبوه يسمّى "شيخ حبيب الله" الذي كان إقطاعيًا يحترف الحمامة. نال العلامة شبلي دراسته الابتدائية في بندول وكانت أول مدارس "مدرسة ناصر العلوم" ثم أرسل إلى غازيفور حيث تعلّم في "مدرسة چشمه رحمت" ثم رجع إلى أعظم كره والتحق بـ"مدرسة علوم إسلامية"، ومن أبرز أساتذته الشيخ فاروق التشرياكوتي والشيخ فيض الله. ويرى كاتب هذه الأسطر أن جلّ فضل تربية العلامة شبلي بعد الله تعالى يرجع إلى الشيخ فاروق التشرياكوتي سواء كان ميله إلى المعقول أو ذوقه للشعر الفارسي أو رغبته في الموسيقى فهذه كلها من أفضاله فكان الأستاذ والتلميذ يستيقظان معًا فكان الأستاذ (الشيخ فاروق) يسأل: شبلي! تودّ أن تسمع بهيرون؟ فأستاذ رجل لا يدرسه مجرد العلوم الدينية والمنطق والكلام بل يسمعه الهيرون في الصباح المبكر كذلك فهل لم يبرز شبليًا نعمانيًا فماذا يصبح؟ وإن لم يشر على عذراء محضرة مثقفة أن تحقّق في الموسيقى فماذا كان يشير إليها؟

ولما قال خورشيد الإسلام إن شبلي كان أول "يونانيًا" في الهند لما كذب لأنه كان يطوي عقل يونان وحكمتها ومنطقها وفلسفتها في جانب وفي جانب آخر كان يتمتع من حسن الانتخاب والذوق اللطيف وعلاوة على ذلك فقد نهل من منهل الإسلام الصافي ولذا فكما رغب في علم الكلام ترك رسائل رائعة في الأردوية وشعرًا مثيرًا للعواطف في الفارسية فكما كان اليونان ينحتون أوثانًا جميلة بالإزميل والمطرقة كذلك كان العلامة شبلي يوقّر ألفاظًا جذابة ومؤثرة بقلمه المنحات، ومن فضله أنه طهر وجه الإسلام المنور من الغبار الذي رماه عليه الأعداء فلا أريد بهذا سوى القول بأن العلامة شبلي لم يكن شخصية لها جانب واحد بل كان شخصية متعدّدة الجوانب ومتكاملتها.

لم نتقدّم بقصة تعلّمه من أعظم كره وغازيفور فذكرنا حتى الآن أثر فاروق التشرياكوتي عليه فبعد الفراغ منهما توجه نحو رامفور فتعلّم الفقه وأصوله على الشيخ إرشاد حسين الرامفوري ثم وصل إلى لاهور وتعلّم الأدب العربي على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري ودار معه حيث دار الشيخ فيض الحسن ثم حضر دروس المحدث أحمد علي السهارنفوري التي تعلّم فيها جامع الترمذي أشهر وأوثق الصحاح الستة.

كانت أسرة العلامة شبلي تعرف بحرفة الحمامة فحاولت أن تسيّره على هذا الصراط ولكن لم يوافق جفاف هذه الحرفة ذهن شبلي الطازج الندي ولقد اختاره الله لأعمال مهمة للغاية أداها بطريقة أو أخرى وهي التي نذكرها بمناسبة المئة سنة الماضية عليها.

عمل العلامة شبلي في أربعة مراكز؛ علي كره وحيدرآباد وندوة العلماء (لكناؤ) ووطنه أعظم كره. عيّن أستاذًا للفرسية والعربية في كلية M.A.O في 1883م في عمره البالغ 26 سنة ومن قبلُ زار علي كره في 1881م وقَدّم قصيدته العربية في مدح العجوز المفعم بالشباب السير سيد أحمد خان الذي كان أكبر منه بأربعين سنة والذي امتحن موهبة الشاب شبلي حين زيارته الثانية في 1883م وفوّض إليه مكتبته الضخمة وسمح له التصرف فيها كيف شاء. قضى العلامة شبلي 15 سنة في علي كره فتعلّم بها كما علّمها فكان السير سيد يهدف بتأسيس هذه الكلية أن يحصل المسلمون على العلوم الجديدة عن طريق الإنجليزية لكي يأتهم الانطلاق في الفكر ولا يتخلفوا في الحياة عن غيرهم ولكنه مع ذلك كان يودّ أن يحصل المسلمون على ما يحصلون في حالة كونهم مسلمين ولا غير وعلى هذا فنظم تعليم العربية والفرسية والعلوم الدينية بجانب اهتمامه بالعلوم الجديدة فأقام بها العلامة شبلي موسّعًا آفاقه العقلية ومحاوّلًا تنمية البيئة الإسلامية البحتة في رحاب الكلية، وبما أنه كان أستاذ العربية فأحبّ أن يخلق طلاب العربية في أنفسهم صلاحية الحديث والكتابة بالعربية بجانب قراءتهم للكتب العربية ولذا فقام بتأسيس لجنة الأدب، وكذا رفاق البروفيسور في علي كره أفاد كلاً منهما فنشرت مؤلفات العلامة العديدة القيّمة حين إقامتها بعلي كره وقد أفاد العلامة علي كره على إهدائها إليها مادة ومنزلة، ومن هو أعرف منه بأن القرآن الكريم ضروري للمسلمين ضرورة الروح للجسد بل أكثر منه لأن الروح في يوم أو آخر تفارق الجسد وأما القرآن الكريم فهو يضمن فلاح المسلمين في هذه الدنيا كما في تلك الآخرة وعلى هذا فقد بدأ بتدريس القرآن في رحاب الكلية، السلسلة التي نالت قبولاً عامّاً، ولا يكون من غير المناسب لو ذكرنا هنا أن هذه المسؤولية قد حمّلت على السيد سليمان أشرف بعدما أصبحت الكلية جامعة وأما

خلفه المفتي عبد اللطيف فلو أنه لا يدرّسه فيما بين الجمهور ولكنه يفيد بعلمه للقرآن نخبة من الطلاب فمعرفة للقرآن وعلومه لا نظير لها في هذا العصر.

ومعهد آخر لعلي كره بناه السير سيد أحمد تمتع من فيض العلامة شبلي ويسّى هذا المعهد بمؤتمر المسلمين التعليمي لعموم الهند والذي كانت جلسته السنوية تنعقد في كل بقاع الهند القديمة ولقد زادت خطب العلامة شبلي ومنظوماته قدرًا وفائدة له وهي التي نفخت روحًا جديدة في جسد المؤتمر.

ونكثّر ذكر اختلاف السير سيد عن العلامة شبلي وكتب البروفيسور شان محمد في مقالته المنشورة في شهر أكتوبر لسنة 2014م لمجلة "تهذيب الأخلاق" الصادرة عن علي كره أنه قد اختلف عن السير سيد في بعض الأمور حتى أقرب رفقاءه، وقد كان اختلاف الشيخ سميع الله خان عنه شديدًا إلى حد أنه لم يلق السير سيد قبل موته لتسع سنوات ولا نستثني منهم مولانا حالي ومحسن الملك ووقار الملك سوى أن النواب وقار الملك كان يشدّد عليه في بعض الأحيان بينما النواب محسن الملك ومولانا حالي لم يفته تكريم السير سيد، ومن أكبر أسباب الاختلاف (1) سيطرة الأساتذة الإنجليز على الكلية و(2) خبط السيد محمود وتضامنه معهم. وقد كتب البروفيسور شان محمد أن هذه الأساتذة الإنجليز يحاولون سرًا لتنصير الطلاب المسلمين. وأما عن العلامة شبلي فنزيد إليهما سببين آخرين أولهما اختلافهما سياسيًا وثانتهما قلة الجو الديني في الكلية كما كان يرى العلامة شبلي فكان السير سيد يدير معهدًا قرّر أمامه مستواه مثل مستوى أوكسفورد وكيمبرج فكان يرى من الضروري له تواجد الأساتذة الإنجليز ومساعدة الحكومة كذلك حتى أن العلامة شبلي قد صالح الحكومة حينما انتسب بندوة العلماء وعلى كل حال نرى أن العلامة شبلي كان محققًا في خياله أن المسؤولين يتجاوزون الحدود في هذا الشأن ففي بداية عقد السنة 1890م جعل يبتعد عن الكلية إلا أنه ظل ينتسب بها رسميًا في حياة السير سيد ولكنه لم يرض أن يبقى فيها بعد وفاته في 1898م والسبب وراء هذا كبر السيد محمود وبعد فكر العلامة شبلي أن خلف السير سيد يفقد علو فكرته وانطلاقها فلو أنه يسير على سياسته ولكنه لا يتبعه في الشؤون التعليمية والاجتماعية، وحدث كما خمن العلامة

شبلي فلم تتغير سياسة علي كره التي أسسها السير سيد في الفترة ما بين 1898م و1947م ولكنها لم تحقق أحلامه العلمية ففارقته في نضج عقله وبعد نظره، ولا نستثني منهم سوى حفيد السير سيد سر راس مسعود الذي أحى ذكرى جدّه خلال فترة إدارته للجامعة أي 1929-1934م.

وبعدما فارق العلامة شبلي علي كره قضى وقتاً قليلاً في ندوة العلماء ووطنه أعظم كره ولم تنقطع سلسلة تأليفه وفي 1901م وصل إلى حيدرآباد وبقي بها حتى 1905م، فوسّع بها نطاق أشغاله عملاً وكتابة فقدّم إليه نيابة الشؤون الدينية التي لم يقبلها وفي النهاية عيّن ناظماً للمعارف ولكن مدّ وجزر السياسة المحلية لم يدعها هذه الإدارة أن تقوم علي ساق وقدم إلا أنه خلال قيامه بحيدرآباد نشر مؤلفات الآخرين كما ألف ونشر كتباً قيّمة أمثال الغزالي وعلم الكلام والكلام وموازنة أنيس ودبير، وبفضل المنحة التي كان يحظى بها على هذه المؤلفات من قبل الحكومة المحلية ضمت هذه الكتب إلى السلسلة الأصفية.

وحيثما كان لم يغفل عن إصلاح وتبديل المنهاج الدراسي للمدارس ولذا فقد ركّز نظريته دائماً على ندوة العلماء فكان يحضر جلساتها ويعرض مقترحاته وفي النهاية جاءها في 1905م وأصبح مسؤولاً عن شؤونها التعليمية وبقي على هذا المنصب حتى 1912م.

وكما ذكرنا آنفاً أن فكرة العلامة تتمحور حول إصلاح وتبديل المنهاج الدراسي فكان يودّ أن يقع التبديل في كافة الفنون الآلية والعالية، ونعلم أن المدارس تهتم العلوم الآلية مثل النحو والصرف والمعقول، والكتب التي تدرّس فيها لا تفي حاجة العصر فكما كان العلامة يودّ التبديل فيه فكذلك كان يودّ أن يتم التركيز على العلوم العالية مثل التفسير والحديث وأصوله والفقه وأصوله والأدب والإنشاء العربي ثم تأتي قضية تعليم الإنجليزية بل كان بعيد نظر العلامة يتطلب تعليم السنسكريتية فكان يحتاج لذا حينما كان في ندوة العلماء فقبلوا بعض مقترحاته كما رفضوا الكثير منها.

وما تمتاز به ندوة العلماء من العناية بالأدب والإنشاء العربي واللغة العربية الجديدة بمقابل المدارس الدينية والعربية يرجع فضلها إلى محاولات مضمّنة قام بها العلامة في

بداية عصرها فيقول السيد سليمان الندوي: كان الهدف ورائها تبشيراً أي الرد على اعتراضات المستشرقين بالإنجليزية على الإسلام ولكن كاتب هذه الأسطر يرى أنه لم يكن الهدف الوحيد فحسب فكان العلامة شبلي يودّ أن يتعرف طلاب هذه المدارس على ما تخفيه هذه اللغات من الخزائن العلمية فهو كان يؤمن بـ "خذ ما صفا ودع ما كدر"، ويرى هذا الكاتب المتواضع أن كبارنا يقدّمون بلون ليس لونهم الأصلي ولعل هذا وقع مع العلامة شبلي كثيراً فكان هو عالماً كبيراً ولذا كانوا يرونه بهذا اللون الخاص الذي قرّزناه لعلمائنا وحينما يجدونه بغير اللون الذي قرّروه فيتهم به مخالفوه بأمور لا تخطر ببالنا بينما يودّ مؤيدوه أن يخفوا لونه الحقيقي أو أن يأولوه تأويلات تغبّر صورته فيقوم أحدٌ فيجعله خصماً للسير سيد ويقوم الآخر فيعلي صوته بالتزاع بينه وبين العلماء الآخرين بالندوة بينما يأتي أحد فيقول إن مؤلفاته قد أصابها الصدا في هذه المدة القليلة وهناك آخر يعيّن هدفها هو الرد على اعتراضات المستشرقين بينما هناك رجال يرفعون أصابعهم إلى تقواه حتى يثيرون الغبار على أخلاقه ونرى أن هذه كلها نتيجة دراسة ناقصة لشخصيته المتكاملة.

وبجانب إصلاح وتبديل المنهاج الدراسي حين قيامه بندوة العلماء كان العلامة يدير مجلة "الندوة" ولقد أعانه في هذا العمل لفترات مختلفة رجال عدة لكن الإدارة لم تحوّل عنه وما حظيته هذه المجلة من سمعة وميزة في تلك الفترة لم تضاهها مجلة أخرى سوى مجلة "معارف" التي كان يدير تحريرها تلميذه الرشيد سيد سليمان الندوي والتي كانت أن تشرف على إنهاء المائة سنة لحياتها وهي لم تزل تصدر بانتظام وتبقي مستواها إلى حدّ ما، وعلاوة على هذين خدم العلامة ندوة العلماء عن طرق مختلفة ولكن علمائها ذوي الأفكار السحيقة لم يصبروا عليه فاضطر إلى تركها في 1912م، فتكدّر صفوه من "الجديد" و"القديم" كليهما وحكم على أن يجمع نخبة تلامذته في دياره والتي نحتفل فيها بمئة سنة الماضية على وفاته.

يتسع نطاق مؤلفات العلامة شبلي من علي كره إلى حيدرآباد إلى لکناؤ وألف، كما ذكرنا، عن علوم وفنون مختلفة وأدّى حقها خيراً، وقد اختلف في أن مآثرته تتعلق بأي فرع من فروع العلم فكان يقول حبيب العلامة شبلي مهدي إفادي أن

موضوعه المركزي هو التاريخ بينما يقول السيد سليمان الندوي إنه تسلل إلى علم الكلام عن طريق التاريخ لأننا نجد لمحات عن علم الكلام في كتبه للتاريخ. هذا صحيح لأن المباحث الكلامية تناولها العلامة شبلي بالبحث في الغزالي ورومي علاوة على علم الكلام والكلام. يرى البروفيسور ظفر أحمد الصديقي أن العلامة كان متكلمًا في الواقع، وأرى أنه يبدو منشئًا كبيرًا في كل موضوع تحدّث عنه، ولو أن روعته الإنشائية تبدو جليًا في بعض رسائله الأردوية ولكن نرى نماذج رائعة للإنشاء الجميل في كتابه الأخير "سيرة النبي" ف"ظهور قدسي" درة يتيمة للإنشاء كما يقول العديد من العلماء.

فقد روى العلامة شبلي العلم والأدب حيثما كان وزاد تراثه العلمي بمؤلفاته القيّمة فألف رسالة في التعليم الماضي للمسلمين حينما كان في علي كره ولقد كانت هي خطبة كتبها لتلقى في الجلسة السنوية لمؤتمر المسلمين التعليمي لعموم الهند، والكتاب الثاني للعلامة شبلي كان هو المأمون ففي هذا الكتاب ثبت العلامة منفردًا فقد كانت العامة والخاصة كلتاها تعرف هارون الرشيد، وقد انتشرت قصص عديدة عنه ولقد خلقت هذه القصص حبّه للعلم وأصحابه، وشكوته وجوده لهم. ويرى كاتب هذه الأسطر أن العلامة اختار مأمون الرشيد لكتابة السيرة لأن سعيه للعلم وجهده للوصول إلى الحق قد ألهمه، ويرى السيد سليمان الندوي أن العلامة كتب سيرته لأن بامر كتب سيرة هارون الرشيد التي اعترض فيها على الإسلام، والواقع أن معظم مؤيدي العلامة شبلي قد عرضوه في هذا اللون بأنه كان يترصّ للمستشرقين فينتقدهم كلما رأى اعتراضهم وثرثرتهم فكأن قلم العلامة شبلي شبّه بقلم المتنبي في الهجو، ومثل هذه الآراء قد وفّرت المثقفين الجدد الفرصة لاعتبار كتب التاريخ للعلامة دفاعية. والواقع أن العلامة قد أعجب ببحثه عن الحق فعزم على تأليف سيرته فإن جاء فيها الردود على اعتراضات بامر فزاد هذا علوًا في الكتاب فلا حاجة إلى اعتباره سببًا لتأليف هذه السيرة. والكتاب الثالث للعلامة شبلي هو سيرة النعمان الذي جعله "شبلي النعماني" من "محمد شبلي" فيقول السيد سليمان الندوي: إن هذا اللقب قد أعطاه أستاذه فاروق التشريياكوتي فإن اختار العلامة بنفسه هذا اللقب أو أعطاه أستاذه ولكن السبب وراء تفقه كلا

العالمين (العلامة شبلي والعلامة فاروق التشرىاكوتي) في الدين أي لا نجد لأبي حنيفة مثلاً في التفقه في الدين لدى أي فقيه آخر.

ارتحل العلامة شبلي إلى تركيا في 1892م حينما كان هو مقيماً في علي كره ولم يكن هدفه سوى تبريد غليله العلمي ولقد أمرنا بـ"اطلبوا العلم ولو كان بالصين" فاستعير هنا بالصين مكان بعيد للغاية. يقول السيد سليمان الندوي إنه كان مضطرباً ليكتب الفاروق وكان ينوي جمع المواد له من حيث أمكن الحصول عليها فمكتبة القسطنطينية لم تزل خزينة العلم منذ غابر الزمان لمن يريد البحث عن العلوم القديمة وليس الفرق بينهما سوى أنهم كانوا يرتحلون إليها في الماضي والآن توجد هذه الذخيرة متواجدة في البيت على الكمبيوتر إلا أن للسفر بركات وقد أمرنا في القرآن بـ"سيروا في الأرض" وكذا يرى السيد سليمان أن رحلته تلك كانت تهدف إلى إعادة الصحة الجيدة ولا نريد البحث عن تفاصيلها فلا نريد منها سوى ماذا حصل لنا من تلك الرحلة فقد استفاد منها العلامة بأشياء ضمنية ولقد تعلّم التركية قليلاً كما استعرض مناهجها الدراسية وكذا كتب السيد الندوي أن زي الجامعة الإسلامية لعلّ كره قد اختاره السير سيد أحمد خان بمشورة من العلامة شبلي وكانت هذه نتيجة رحلته إلى القسطنطينية فقيامه بها واستفاضته منها قد زاداً شعره الفارسي بهاءً ولقد أكرمته الحكومة التركية بوسامها العظيم "الوسام المجيدي".

ولقد ظفر العلامة شبلي بالوسام المجيدي من تركيا فكأن السير سيد أراد أن يفوز بشرف الحكومة البريطانية "شمس العلماء"، وقد ذكر السيد سليمان في "حيات شبلي" سبباً آخر له هو أنه أصبح مشكوكاً فيه لدى الحكومة البريطانية لارتحاله إلى تركيا ولقائه مع الخليفة والفوز بالوسام المجيدي فقام السير سيد بهذه المحاولة لإزالة شكها وإثبات وفائه لها وعلى كل حال فقد أصبح العلامة شبلي "شمس العلماء" ولو أنه لم يكن أقل من النير الساطع.

والآن قد تكدر صفو العلامة شبلي من علي كره، ويذكرون السبب وراء أنه لما تم احتفل بفتح الأتراك في الحرب قد حضره العلامة شبلي إلا أن السير سيد غاب عنه لو أن العلامة لم يزل يتحمّله ولكن رحلاته المتكررة إلى حيدرآباد قد سبّبت رغبته فيها فقدّم بعض المقترحات لتحسين وضع دائرة المعارف، الأمر الذي أثر فيه جيداً